جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

القضايا النحوية في سورتي البقرة وآل عمران من تفسير "البسيط" للواحدي النيسابوري

دراسة وصفية تحليلية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

مقدمه الطالب

عبد اللّه محمد رشاد خليفة

إشراف

الأستاذ الدكتور/ علي محمد أحمد هنداوي

أستاذ اللغويات ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس

الأستاذ الدكتور/ أحمد إبراهيم هندي داود

أستاذ اللغويات
بكلية الآداب جامعة عين شمس

شكر وتقدير

للأستاذين الجليلين الأستاذ الدكتور / علي محمد أحمد هنداوي أستاذ اللغويات ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس .

والأستاذ الدكتور / أحمد إبراهيم هندى داود أستاذ اللغويات بكلية الآداب جامعة عين شمس .

اللذين شرفاني بقبولهما الإشراف على هذه الرسالة ، فأسبغا عليّ كريم شيمهما ، وفيض علمهما ، وسعة ثقافتهما ، وحسن توجيهاتهما ، فلولاهما ما خرج هذا البحث علي هذه الصورة ، فجزاهما الله – تعالى– عني خير الجزاء ، وبارك الله لنا في عمرهما ، ونفعنا بعلمهما، فلهما من الثناء أوفره ، ومن الشكر أجزله.

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير للأستاذين الكريمين الأستاذ الدكتور/ قباري محمد شحاتة أستاذ اللغويات بكلية الألسن جامعة عين شمس ، والأستاذ الدكتور / عطية سليمان أحمد سليمان أستاذ اللغويات بكلية تربية السويس لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة.

مقدمة

إننا لا نستطيع فهم القرآن فهمًا سليمًا إلا إذا فهمنا اللغة التي نزل بها ومن هنا تكون المحافظة على اللغة العربية وصياغتها ضرورة لفهم لغة القرآن الكريم وما فيها من أسرار، وقد فطن علماؤنا المتقدمون لهذه الحقيقة فخلفوا لنا تراثًا حافلًا بالمباحث اللغوية القيمة والتي هي في حاجة لدراسة وتمحيص للإفادة منها ولا شك أن دراسة المباحث اللغوية المتناثرة في كتب التراث يُعد لبنة في صرح الثقافة اللغوية.

ومن أبرز كتب التراث التي زخرت بالدراسات اللغوية القيمة كتب التفسير؛ فقد عرض بعض المفسرين في كتبهم كثيرًا من الظواهر اللغوية في مستويات اللغة المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

ولقد اهتم المفسرون عند تفسيرهم للقرآن الكريم بإبراز الجانب النحوي فيه ومن ذلك تفسير "البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي ، و"الكشاف" للزمخشري، و"المحرر الوجيز" لابن عطية، وقد طالعنا الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ) بكتابة "البسيط" وقدم لنا فيه كثيرًا من القضايا النحوية والصرفية وهي تُعد كنزًا ثمينًا في بابها، والواقع أن ما ذكره الواحدي في كتابه من أحكام نحوية وصرفية لآي الذكر الحكيم لا غنى لطالب النحو والصرف عن مراجعته وحسن فهمه وتدبره؛ لأن الواحدي كان يتمتع بالمعرفة الواسعة بعلوم اللغة وأشعار العرب والقراءات القرآنية، على اختلافها معرفة لا تقل عن معرفته بالدين.

ومما يشهد لذلك كتابه الذي بين أيدينا "البسيط"؛ فلقد بسط فيه من المسائل النحوية ما عُدَّ خروجًا عن منهج التفسير، من كثرة ما حواه الكتاب من المسائل النحوية، قال السيوطي وَهُوَ يتكلم عن طبقات المفسرين "فالنحوي تراه ليس له هم إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في "البسيط" وأبي حيان في "البحر المحيط والنهر".

ويُعد هذا التفسير فريدًا في نوعه بين التفاسير القرآنية ،المتقدمة فقد جمع مُصَنِّفُهُ فيه أنواعًا عديدة من الدراسات النحوية التي استقرت في عصره بعد أن أسهم في نضوجها جماعة من كبار أئمة العربية في القرن الرابع الهجري، كابن الأنباري والنحاس، والرماني وابن السراج، وابن خالويه وأبي علي الفارسي وغيرهم، والذين بلغت في عصرهم تلك الدراسات غاية التقدم والاكتمال والنضوج، فلما جاء القرن الخامس الذي عاش الواحدي إلى نهاية العقد السادس منه صنف تفسيره "البسيط" في منتصفه تقريبًا. فجاء تفسيره موسوعة علمية فقد جمع بين دفتيه علوم العربية من نحو وصرف، وقراءات، ولهجات، ومعان، وبيان، كما أنه جمع كثيرًا من آراء العلماء في إعراب القرآن الكريم، لذا يعد تفسير "البسيط" من المصادر الهامة في دراسة النحو العربي، فقد استوعب كثيرًا من أمهات الكتب كـــ"الكتاب" لسيبويه، و"معاني القرآن" للفراء، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج وغيرها من المصادر.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد بسط الواحدي في هذا التفسير لكثير من الظواهر اللغوية في مستويات اللغة المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية؛ لذا كان حريًا بالباحثين أن يُولوا هذا التفسير اهتمامًا وأن يتناولوه بالبحث والدراسة خصوصًا الجانب النحوي من هذا التفسير؛ ولهذا وقع اختياري على هذا التفسير ليكون موضوعًا لرسالتي هذه لما وجدت فيه من مادة نحوية تمثل موضوعًا صالحًا للبحث والدراسة والتحليل.

وجدير بالذكر أن تتبع كل القضايا النحوية في تفسير "البسيط" أمر بالغ الصعوبة؛ وذلك لغزارة المادة النحوية في هذا التفسير؛ ولذلك اكتفيت بتتبع القضايا النحوية في سورتي البقرة وآل عمران من تفسير "البسيط" فجاء هذا البحث تحت عنوان: (القضايا النحوية في سورتي البقرة وآل عمران من تفسير "البسيط" للواحدي النيسابوري دراسة وصفية تحليلية).

ولقد احتلت سورتا البقرة وآل عمران حيزًا كبيرًا من تفسير "البسيط" إذ جاءتا في خمسة أجزاء ونصف من تفسيره المكون من خمسة وعشرين جزءًا حسب نسخة جامعه

الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية وقد قام بتحقيق هذه النسخة خمسة عشر باحثًا وباحثة.

أهداف الدراسة:

قبل أن أشرع في هذا البحث وضعت نصب عيني أن يحقق بحثي هذا أهدافًا ثلاثة هي:

١ – تتبع المادة النحوية التي تضمنها تفسير "البسيط" في سورتي البقرة وآل عمران وجمعها ثم إخضاعها للدراسة والتحليل.

٢ – الوقوف على مصادر الواحدي، وتعرف مذهبه النحوي، ومنهجه وأسلوبه في عرض القضايا النحوية ومناقشتها.

٣ – إبراز جهود الواحدي النحوية في التفسير "البسيط" وتقديمها في دراسة علمية مستقلة، لكي يفيد منها الباحثون.

منهج الدراسة:

ولما كان عملي في هذه الدراسة سيكون مقصورًا على قدر معين من كتاب محدد وبحث قضاياه النحوية وتحليلها ومناقشتها، كان من الأجدر أن أحاول ترسم خطوات المنهج الوصفي التحليلي، إذ إن المسائل المدروسة ستخضع للتحليل الوصفي، ثم الموازنة بين آراء الواحدي وآراء غيره من علماء اللغة والنحو.

وقد عالجت المسائل النحوية في "البسيط" من خلال تتبع خطوات المنهج الوصفي التحليلي على النحو التالي:

أولًا: استخلصت المسائل النحوية التي تفرقت في سورتي البقرة وآل عمران من صفحات "البسيط" فجمعت شملها، ووحدت بين صفوفها، وصهرتها في بوتقة واحدة لتمثل موضوعًا نحويًا ذات قالب واحد، بعد أن كانت متفرقة متناثرة هنا وهناك، والتزمت في كل هذا بتقديم نصوص الواحدي النيسابوري كاملة دون بتر أو حذف حتى لا أنسب إليه

ما ليس له، أو أخرج منه ما هُوَ فيه، ثم رقمت المسائل النحوية في كل فصل من الفصول ثم وضعت لها عنوانًا مناسبًا.

وأتبعت ذلك بدراسة القضية دراسة تفصيلية من أمهات كتب النحو، والأعاريب، والتفاسير، والقراءات، مُرتبًا أقوال العلماء حسب أزمنتهم مُرجحًا ما أراه راجحًا بناءً على الأدلة التي تثبت ذلك.

ثانيًا: وثقت الآراء بالرجوع إلى مؤلفات أصحابها إن أمكن وإلا فمن الكتب المتخصصة.

ثالثًا: أحلت الآيات القرآنية مع ضبطها بالشكل، وخرجت الأحاديث النبوية من كتب المسانيد، كما قمت بتخريج الأبيات الشعرية وبينت مصادرها، وفسرت غوامضها أحيانًا.

رابعًا: خرجت القراءات القرآنية، ونسبتها إلى أصحابها مستعينًا في ذلك بكتب القراءات.

خامسًا: ترجمت في إيجاز للأعلام الواردة في نص الواحدي.

سادسًا: لخصت كل مسألة بعد الانتهاء منها تلخيصًا يُوجز ما تقدم فيها.

هذا وقد اقتضى هذا البحث أن يكون في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

ففي **المقدمة** ذكرت أهمية البحث، وسبب اختياره، والمنهج الذي سرت عليه.

أما الفصل الأول: فهو بعنوان: (الواحدي وكتابه "البسيط") وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دراسة موجزة عن الواحدي، ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالواحدي: ويشمل: اسمه ،ونسبه، ولقبه، وكنيته، ومولده ونشأته، وحياته، وثقافته العلمية، وأساتذته، ومصنفاته.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب البسيط: ويشمل:

- مكانة "البسيط" العلمية.

- أهم المصادر اللغوية التي استقى منها الواحدي مادته اللغوية والنحوية في كتاب "البسيط".

المبحث الثاني: منهج الواحدي في تناول القضايا النحوية وأهم السمات البارزة فيه ويشمل:

١ – أهم السمات البارزة في منهج الواحدي في عرض القضايا النحوية.

٢ – موقف الواحدي من الأدلة النقلية (السماع) .

٣–موقف الواحدي من الأدلة العقلية (القياس) .

أما الفصل الثاني: فهو بعنوان (المقدمات والجملة الاسمية) ويشمل مبحثين:

المبحث الأول: "المقدمات"، وفيه سبع قضايا:

القضية الأولى: تنوين (عرفات) وما أشبهها أو تنوين المقابلة.

القضية الثانية: الممنوع من الصرف للوصفية والعدل.

القضية الثالثة: صرف (أفعل) الذي يسمى به وأصله الصفة.

القضية الرابعة: العلم الثلاثي ساكن الوسط متى يُصرف ومتى يُمنع من الصرف؟

القضية الخامسة: إسكان حركة الإعراب في حالة الوصل.

القضية السادسة: ما يُستعمل من أسماء الإشارة اسمًا موصولًا.

القضية السابعة: في الاسم الموصول (الخلاف في تثنية " الذي" هل هي تثنية حقيقية أم مرتجلة)؟

المبحث الثاني: "القضايا المتعلقة بالجملة الاسمية"، ويشمل خمس قضايا:

القضية الأولى: دخول الفاء في خبر الاسم الموصول الواقع مبتدأ وعلة ذلك.

القضية الثانية: الحمل على اللفظ أو المعنى.

القضية الثالثة: وقوع ظرف الزمان خبرًا عن حدث.

القضية الرابعة: الإخبار عن المصادر بالذوات.

القضية الخامسة : استعمال (كان) تامة.

أما الفصل الثالث: فهو بعنوان: (الجملة الفعلية ومكملات الإسناد) وفيه مبحثان:

المبحث الأول: "القضايا المتعلقة بالجملة الفعلية"، ويشمل سبع قضايا:

القضية الأولى: حذف مفعولي باب ظن أو أحدهما اختصارًا.

القضية الثانية: دخول النفي على (كاد).

القضية الثالثة: إلحاق علامة التثنية أو الجمع بالفعل المسند إلى اسم ظاهر.

القضية الرابعة: القول في محل (أَنَّ) (وأَنْ) بعد حذف حرف الجر.

القضية الخامسة: نصب الفعل المضارع بعد (واو) المعية.

القضية السادسة: نصب الفعل المضارع بعد (حتى).

القضية السابعة: اجتماع الشرط والقسم.

المبحث الثاني: "القضايا المتعلقة بمكملات الإسناد"، ويشمل ست قضايا:

القضية الأولى: دخول (إذا) على الفعل الماضي.

القضية الثانية: القول في (الآن) والاختلاف في علة بنائه.

القضية الثالثة: القول في (إلا) وهل تكون بمعنى (الواو).

القضية الرابعة: مجيء الماضي حالًا وآراء النحاة فيها.

القضية الخامسة: حكم تذكير العدد وتأنيثه إذا حذف المعدود.

القضية السادسة: أسماء لازمت النداء، الخلاف في لفظة (اللهُمَّ).

أما الفصل الرابع: فهو بعنوان: (حروف المعاني)، ويشمل ست قضايا:

القضية الأولى: هل تأتي (أو) بمعنى (الواو).

القضية الثانية: زيادة (أَنْ) هل تزاد (أَنْ) وتعمل النصب في الفعل المضارع ؟

القضية الثالثة: هل تأتي (أم) بمعنى الاستفهام المحض؟

القضية الرابعة: نيابة حروف الجر بعضها عن بعض.

القضية الخامسة: زيادة (الواو) العاطفة.

القضية السادسة: (لا) بين إعمالها وإهمالها.

أما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي خلصت إليها من خلال معايشتي لتفسير "البسيط".

وقد ذيلت الرسالة بفهرسين:

الأول: فهرس بقائمة المصادر والمراجع.

الثاني: فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

التعريف بالواحدي وبمنهجه في عرض القضايا النحوية

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالواحدي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته ،وأسرته، وموطنه، ومؤلفاته.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "البسيط".

المبحث الثاني: منهج الواحدي في عرض القضايا النحوية ،ويشمل:

١ـ أهم السمات البارزة في منهج الواحدي في عرض القضايا النحوية.

٢ـ موقف الواحدي من أصول النحو وأدلته.

أولًا: اسمه ونسبه:

هُوَ علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي يُكنى بأبي الحسن، هذا نسبه في أكثر المصادر التي وردت فيها ترجمته[١].

ولم يذكر أحد ممن ترجم للواحدي تاريخ ميلاده، وهذا واقع في تراجم أغلب العلماء؛ ذلك أن العالم حين ولادته لم يظهر له نبوغ يذكر، ولا أثر يستحق التسجيل، وربما كان لبعض الأسر دور في تسجيل تاريخ ميلاد أبنائهم.

والواحدي لم ينص أحد على تاريخ ميلاده، وإنما ذكر تاريخ وفاته، وقد توفى سنة ٤٦٨ هجرية في جمادى الآخرة بنيسابور[٢].

ولد ونشأ في نيسابور إحدى مدن "خراسان" الهامة. فهو خراساني نيسابوري.

وكانت "خراسان"–حينئذ– حاضرة العلم والعلماء قال عنها ياقوت الحموي: فأما العلم فهم فرسانه وساداته وأعيانه، ومن أين لغيرهم مثل محمد بن إسماعيل البخاري ومثل مسلم بن الحجاج، وأبي عيسي الترمذي، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل ،وأبي حامد الغزالي، والحاكم أبي عبد الله النيسابوري وغيرهم من أهل الحديث والفقه، ومثل الأزهري والجوهري وعبد الله بن المبارك؟"[٣].

أما "نيسابور" موطن الواحدي وبلده، فهي كما وصفها ياقوت حين قال: "نيسابور" بفتح أوله والعامة يسمونه: "نشاوور" وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها"[٤].

---

(١) تنظر ترجمته في: (معجم الأدباء) ٢٥٧/١٢، و(إنباه الرواة) ٢٢٣/٢، و(سير أعلام النبلاء) ٣٣٩/١٨، (وطبقات الشافعية الكبرى)للسبكي ٢٨٩/٣، والأسنوي ٥٣٨/٢ (والنجوم الزاهرة) ١٠٤/٥، وبغية الوعاة ١٤٥/١٢،(وطبقات المفسرين) للسيوطي ط٦٦، و/ (طبقات المفسرين) للداودي ٣٩٤/١، و(فيات الأعيان) ٣٠٣/٣، ٣٠٤.

(٢) ينظر: (معجم الأدباء) ٢٥٨/١١، و (إنباه الرواة) ٢٢٤/٢، و(فيات الأعيان) ٣٠٤/٣.

(٣) (معجم الأدباء) لياقوت ٣٣١/٥.

(٤) (معجم البلدان) ليقاوت ٣٣١/٥.

تلقى الواحدي تعليمه الأول في كتاب القرية على يد الشيخ أبي عمر سعيد بن هبة الله البسطامي[١].

ثم شرع في السماع من العلماء، والأخذ عنهم، حيث سمع من شيخه أبي طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي[٢] محدث نيسابور وفقيهها.

ثم انضم الواحدي إلى دار السُّنة –وهي مدرسة يدرس فيها كبار العلماء والمحدثين ليتلقى العلم عن أجلة علمائها؛ وهذا وما قبله يدلان على شغف الواحدي بالعلم ولزوم حلق العلماء منذ نعومة أظفاره، وميعة صباه.

ولعل الواحدي –رحمه الله– أحب أن يتقن علوم الآلة التي يُتوصل بها إلى فهم القرآن والسنة، قبل أن يخوض في علوم المقاصد، ليكون على فهم تام بها، ومعرفة بحقائقها، يتحدث الواحدي عن ذلك فيقول:

"وأما النحو فإني لما كنت في ميعة صباي، وشرخ شبيبتي وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد الضرير –رحمه الله– ولعله تفرس فيَّ وتوسم أثر الخير لدي فتجرد لتخريجي وصَرَفَ وكْدَه[٣] إلى تأديبي، ... وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني، وعلقت عنه قريبًا من مائة جزء من المسائل المشكلة، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل... [٤].

ولم يقضِ نهمته من علم اللغة والأدب اللذين لا يستغنى عنهما في فهم النصوص يقول الواحدي: "ولئن استغنى علم عن الأدب فمن ضرورة التفسير وعلم القرآن: الأدب

---

(١) هُوَ الشيخ الإمام أبو عمر سعيد بن هبة الله الموفق البسطامي ،أحد شيوخ الواحدي، تلقى عنه الواحدي في الكُتَّاب، توفى عام ٥٠٢هـ. تنظر ترجمته في (دمية القصر) ١٠١٨/٢.

(٢) هُوَ الإمام محمد بن محمد بن مَحْمِش بن علي بن أيوب أبو طاهر، المعروف بالزيادي، إمام أصحاب الحديث بخراسان وفقيههم ومفتيهم توفي سنة ٤١٠هـ، وقد أخذ الواحدي عنه علم الحديث. تنظر ترجمته في: (سير أعلام النبلاء) ٣٤٠/١٨، و (طبقات الشافعية) ٢٨٩/٣، و(طبقات المفسرين) للسيوطي ص٦٦.

(٣) يُقال:وَكَدَ فلان أمرًا يكِدُهُ وَكْدًا إذا مارسه وقَصَدَهُ،ينظر:"لسان العرب" مادة(وكد)المجلد٥٥ ص٤٩٠٦،طبعة دار المعارف

(٤) مقدمة البسيط(١ /٤٢٠-٤٢١).

ومعرفة اللغة العربية"[١] فانقطع لتعلم اللغة على شيخ اللغة في وقته أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي[٢]، حيث لازمه ملازمة الظل لصاحبه،يدخل عليه عند طلوع الشمس، ويخرج من عنده وقت غروبها، يسمع ويعلق ويبحث ويذاكر أصحابه ما بين طرفي النهار، وقرأ عليه كثيرًا من دواوين الشعر وكتب اللغة، قال الواحدي: "ولم أغب عن زيارته يومًا من الأيام إلى أن حال بيننا الحُمَام"[٣].

ثم لمَّا توفى الشيخ أبو الفضل العروضي عام (٤١٦هـ) تنقل الواحدي في مساجد البلد ومدارسه بين العلماء والعلوم، فاختلف إلى الشيخ أبي القاسم علي بن أحمد البستي[٤] – رحمه الله– ثم إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري[٥]، وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي[٦]، وأخذ عنهم علم القراءات.

لقد كانت كل تلك الدراسات تهيئة من الواحدي لنفسه، وتدرجًا للوصول إلى علوم المقاصد وهذا يظهر لنا من خلال حديث الواحدي مع شيخه أبي الفضل العروضي حين قال: "وقرأت عليه الكثير من الدواوين وكتب اللغة حتى عاتبني شيخي –رحمه الله– يومًا من الأيام؛ وقال: إنك لم تبق ديوانًا من الشعر إلا قضيت حقه، أَمَا آن لك أن تتفرغ لتفسير

---

(١) مقدمة البسيط ص٤١٠/١.

(٢) هُوَ الشيخ أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي المعروف بـ "الصَّفَّار" الشافعي توفى عام ٤١٦هـ قال الثعالبي: "إمام في الأدب خنق التسعين في خدمة الكتب وأنفق عمره على مطالعة العلوم وبتدريس متأدبي نيسابور وقد أخذ عنه الواحدي اللغة. تنظر ترجمته في: "معجم الأدباء" ٢١٦/٤، و"إنباه الرواه "١٥٤/١.

(٣) مقدمة البسيط ٤١٧/١-٤١٩.

(٤) هُوَ أبو القاسم علي بن أحمد البستي وَهُوَ أحد شيوخه في القراءات. تنظر ترجمته في: "معرفة القراء الكبار" ٢٨٠/١، و"غاية النهاية" ٥٠/١، ٥٢٣

(٥) هُوَ أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد بن إبراهيم المقرئ الزعفراني الحيدري، توفى عام ٤٢٧هـ، أحد شيوخ الواحدي، وقد أخذ عنه الواحدي القراءات. تنظر ترجمته في "معرفة القراء الكبار" ٢٨٠/١، و"غاية النهاية" ٥٠/١.

(٦) هُوَ أبو الحسن علي بن محمد الفارسي أحد شيوخ الواحدي، أخذ عنه الواحدي علم القراءات، وكان وكان إمامًا مقرئًا حاذقًا، توفى سنة٤٣١ه هـ تنظر ترجمته في "،غاية النهاية" ٥٧٢/١، و"المنتخب من السياق" ص١١٢.

كتاب الله العزيز تقرأه على هذا الرجل الذي يأتيه البعداء من أقاصي البلاد، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار يعني: الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي – رحمه الله– فقلت يا أبتِ إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذي تريد، وإذا لم أحكم الأدب بجد وتعب لم أَرمِ في فرض التفسير عن كثب..." (١).

ولقد رضى عن جهده في هذا الباب حين قال: "وأظنني لم آل جهدًا في إحكام أصول هذا العلم على حسب ما يليق بزماننا هذا، ويسعه سنو عمري على قلة أعدادها، فقد وفق الله تعالى وله الحمد حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانه، وأخذته من معادنه"(٢).

ثم تفرغ من بعد ذلك تبعًا لخطته، ومنهجيته التي ارتضاها لنفسه وإنفاذاً لوصية شيخه للقراءة على الإمام: أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، وقرأ عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء وتفسيره الكبير (الكشف والبيان) وكتابه (الكامل في علم القرآن) وغيرها ولشدة ملازمته إياه عرف في الأوساط العلمية آنذاك بتلميذ الثعلبي.

العلوم التي برز فيها الواحدي:

لقد تنوعت مشارب الواحدي العلمية، وتعددت، وأخذ من كل فن بطرف ذلك لأن من خصائص العلوم الشرعية أنها مترابطة، فبعضها غايات وبعضها وسائل كاللغة والأصول ونحوهما، ولابد لمن أراد تعلم الغايات أن يدرس الوسائل، فالمفسر مثلًا: يلزمه معرفة السنة حتي يميز بها بين ما صح وما ليس كذلك، كما أن فهم اللفظ القرآني متوقف على معرفة اللغة والنحو وأصول كلام العرب، ولابد أن يعرف القراءات وعلوم القرآن وهكذا.

ولقد كان ذلك دافعًا قويًا للواحدي ليُحْكِمِ الأصول كما قال في مقدمة كتابه "البسيط" ".. وأظنني لم آل جهدًا في إحكام أصول هذا العلم على حسب ما يليق بزماننا هذا وسعة سني عمري على قلة أعدادها، فقد وفق الله تعالى، وله الحمد، حتى اقتبست كل ما احتجت

---

(١) مقدمة "البسيط" ص١/٤١٩.

(٢) مقدمة البسيط ص١/٤٢٠.

إليه في هذا الباب من مظانه وأخذته من معادنه، أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضيّ –رحمه الله– "[١].

وتحدث بعد ذلك عن أخذه النحو والقراءات والتفسير.

ويؤكد كلامه بقوله: "... ولئن استغنى علم عن الأدب فمن ضرورة التفسير وعلم القرآن: الأدب، ومعرفة اللغة العربية.. [٢].

وكان للواحدي مشاركة في سائر العلوم. ففي السنة أخذ عن كبار المحدثين وأدرك الإسناد العالي[٣]، وقال عنه ابن تغري بردي: "كان إمامًا عالمًا بارعًا محدثًا وكتابه "أسباب النزول يشهد بمكانته في هذا الفن على أنه لم يصل فيها إلى المستوى الذي وصل إليه في اللغة والتفسير، ولهذا روى بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

أما الفقه فيعتبر أحد أعلام مذهب الإمام الشافعي وتوجد ترجمته في جميع كتب تراجم طبقات علماء الشافعية[٤]. وله آراء فقهية ذكرها في "البسيط" معتمدة في مذهبهم، نقل منها النووي في "المجموع شرح المهذب"[٥].

ومع هذه المشاركات من الواحدي في السنة والفقه فقد برز في علوم "التفسير" و"النحو" و"اللغة" وشُهِرَ بها وصار من أعلامها. وصفه بعض المترجمين له بإمامته فيها، قال في "المنتخب من السياق": (الإمام المصنف المفسر النحوي) [٦] وقال ابن خلكان: (كان أستاذ عصره في النحو والتفسير) [٧] وقال القفطي: "الإمام المصنف المفسر النحوي.. [٨]" وقال أبو الفداء: (وكان أستاذ عصره في النحو والتفسير) [١].

---

(١) مقدمة البسيط ٤٠٧/١.

(٢) مقدمة البسيط ٤١٠/١.

(٣) ينظر: (المنتخب من السباق) لـــ ١٤١ أ. و"إنباه الرواه" ١٢٣/٢.

(٤) ترجم له السبكي ٢٨٩/٣، والأسنوي ٥٣٨/٢، وابن قاضي شهبة ٢٥٦/١.

(٥) "المجموع شرح المهذب" ٣٧١/٣-٣٧٣.

(٦) (المنتخب من السياق) لـــ ١١٤ أ. وانظر: معجم الأدباء ٢٥٨/١٢.

(٧) وفيات الأعيان ٣٠٣/٣.

(٨) إنباه الرواة ٢١٣/٢.